لقد علَّمنا التأسيس العزم ، لكنه ألزمنا بمجهود جبار .

ولقد استرسلنا مع انسياب الانفتاح ، لكنه ألقى على عواتقنا حملاً ثقيلاً .

نعم ، هو واجب صعب يلقيه الإقرار بصواب هذه الخواطر على كواهل مجموع الدعاة ، ولربما يرى فيها مرتاد الراحة نوع خيالات ساحت مجاناً فى آفاق التمنى ، وتلك نظرة نقد كان يمكن قبولها لو كان يسندها بذل وافر للجهود والأوقات والأموال من لدن الدعاة ، ولكن أيام بعضنا قد انطبعت بإيثار السلامة ، والبخل عند العطاء ، ولم نعرف نجاحاً فى الصراع السياسى ، والفكرى ، لا يمر بطريق الإرهاق ، والكرم ، وطول السهر ، وإتلاف الصحة ، ونسيان حقوق النفس . . . !

فإن كان كلامنا تجاوزات قلم ، وأحلام راغب ، فهى فى ساعات يقظة ، وفى إطار حسابات منطقية ، ولذلك لم يكن لينبغى لمن ينتحل هذه الخطط ويحلم فى اليقظة أن يسترسل فى أحلام المنام .

ويومها ، يوم بعثت الخلافة الراشدة جيوشها الصغيرة لتهدم بناء أكبر الجاهليات ، جاهليات الفرس والروم والقبط ، فى شبه خروج عن مفاد القياس الحسابى عند من لا يعرف أثر الإيمان :

أوجب عمر الفاروق رضي الله عنه على نفسه أن لا ينام ، حذراً من أن تشتبه الظنون بعزماته فيحسبها الجاهل شطحات راقد ، وحين وصل معاوية بن خديج المدينة ظهراً مبشراً أمير المؤمنين بفتح الأسكندرية مال إلى المسجد ظاناً أن عمر فى قيلولة ، فأرسل إليه عمر ، فقال له :

(وماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد ؟

قال : قلت إن أمير المؤمنين قائلٌ .

قال : بئس ما قلت ، أوبئس ما ظننت ، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى ، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية ؟)(1) .

وهى كذلك والله . فأنّى للداعية كثرة النوم والراحة ؟

إن نام أو استراح بالنهار : ضيع أنصار دعوته ومحبيه والناشئة التى تكفَّلَ بتربيتها .

وإن نام آخر الليل : ضيع نفسه .

كلا ، إن الداعية بمجرد قبوله هداية الله وانخراطه فى الصف فقد اختار التعب ، وطلّق الراحة والدعة واللهو المباح .

ولذلك لما قيل لأحد السلف : (ما الذى ينقض العزم ؟ قال : طول الآمال ، وحب الراحات . . .)(2)

---

(1) كتاب الزهد للإمام أحمد / 123 .

(2) تاريخ بغداد 4/ 12 .

واستلفت نظر ابن القيم قوم وفقهم الله تعالى ، فشغلهم بالجد ، و(فرّغ قلوبهم مما ملأ قلوب غيرهم من محبة الدنيا ، والهم ، والحزن على فوتها ، والغم من خوف ذهابها ، فاستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون) (1) .

❑ الرامي ... قبل السهم

بيد أن مفتاح الأمر كامن الآن ، كما هو في القديم ، في وجود العنصر البشري الذي يجسد الأفكار ، وانتصار الإسلام لا بد أن تكون بدايته حملة تجميع وتربية لعدد من المؤمنين ، يتجردون ، ويتبنون قضايا الأمة ، ويضغطون ، ويتبعون قيادة تختار لهم الوسائل ، وتوزعها عليهم ، وتخطط لهم ساحة الصراع ، وتنقلهم إليها ، وتوقت لهم ساعة اللقاء ، وتسبقهم إليها ، وأما فنون التخصص فعناصر ثانوية رغم أهميتها .

من هنا فإن أي استدراك جدي يجب أن ينطلق أولاً من هذه الحقيقة ، بأن يسعى إلى المرور بأفراد المجتمع يجردهم جرداً ، وانتقاء من تؤيد الفراسة مقدرته على المشاركة في هذا الاستدراك ، واصطفاء الأخيار .

وذلك دأب سالف لعلماء الإسلام ، كثر ذكره عن الأجيال الأولى منهم ، ولم يلتذوا بالانزواء إلا في عصر الانحطاط ، فساعدوا على أن يبالغ هذا الانحطاط في جثمته .

---

(1) الفوائد / 194 .

ففى الرهط القديم : ذكروا المحدث الثقة عبد الله بن عون ، وكان يقول إن مما أحبه من نفسه : إقباله عليها ، ولهوه عن الناس إلا من الخير ، ولكن وصفوه مع ذلك بأنه كان شديد الاختلاط بالناس [1] .

فهو بائن عنهم إذ هم فى تنافسهم الدنيوى ، كائن معهم يصلح ويوجه ، ولم يكن ليبتغى تغييراً باختلاطه هذا كما نبغى ، إذ كانت عزة الإسلام مكينة ، ولكن ليحفظ بهم هذه العزة ، أو ليأخذوا على يد ظالم .

وطريقة عبد القادر الكيلانى فى العصر الأوسط أصرح ، وأجرأ ، وأقرب إلى التجانس مع الواقع ، فإنه يعتبر من يقع فى النفاق ضحايا ، وإن على المصلح أن يخالطهم وينتشلهم كمخالطته معادن الصلاح ، فى عملية صعبة عليه ، ولكنها ضرورية . يقول رحمه الله :

(أشد الأشياء على من عرف الله عز و جل : النطق مع الخلق والقعود معهم ، ولهذا يكون ألف عارف والمتكلم فيهم واحد ، إلا أنه يحتاج إلى قوة الأنبياء عليهم السلام ، وكيف لا يحتاج إلى قوتهم وهو يريد أن يقعد بين أجناس الخلق ، يخالط من يعقل ومن لا يعقل ، يقعد مع منافق ومؤمن ، فهو على مقاساة عظيمة ، صابر على ما يكرهه ، ومع ذلك فهو محفوظ فيما هو فيه ، معان عليه ، لأنه ممتثل لأمر الحق عز وجل فى كلامه مع الخلق ، لم

(1) طبقات ابن سعد 7/ 266 .

يتكلم بنفسه وهواه واختياره وإرادته ، وإنما أجبر على الكلام ، فلا جرم يحفظ فيه) (1) .

وسيرته فى إصلاح أهل العراق أبلغ فى الإبانة عن طريقته من قوله هذا ، وكان له دور سياسى فى إسناد الوزير ابن هبيرة الدورى ضد شرذمة شهوانية ضعف أمامها الخليفة ، وكان لهذا الوزير فقه وصلاح .

وهى هكذا مهمة الداعية المسلم اليوم : يخالط ، ويسل ، ويربى ، وينظم ، ويقود . فكان لا بد أن نصحبه فى مهمته هذه ، نتعرف على الموازين التى تحكم خطته فى التجميع .

❑ ذهب ويورانيوم

إن (الإنتقاء) هو الميزان الأهم الذى يحكم عملية التجميع ، ويتمثل فى جودة الاختيار للعنصر الذى ندعوه ، فإن إتقان هذا الإنتقاء يوفر الكثير من المتاعب ، ويجنبنا أكثر المشاكل التى نعانى منها .

وطريق ذلك أن ينظر داعية الإسلام نظرة تمييزية إلى من يتواجد حوله من الأفراد الذين يمكن أن يستجيبوا له إذا دعاهم ، فيقسمهم إلى طبقات ، وتكون الطبقة الأولى منهم : أهل الشجاعة ، والذكاء وقوة الشخصية ، والبعد عن الرياء والجدل ، وممن تتوفر فيهم الأمانة وجودة النسب العائلى ، وأوصاف أخرى

---

(1) الفتح الرباني / 72 .

مثل هذه تؤهل الواحد منهم لأن يكون مؤثراً فى غيره لو صار داعية . ثم طبقة أقل حيازة لهذه المحاسن ، ثم طبقة لا تصلح ، من عناصر أقعدها الجبن وفتور الذكاء وضعف الشخصية ، ولا يمكن أن ينتصبوا دعاة مهما بذلنا لهم من تربية .

فاهتمام الداعية يجب أن ينصبّ على الطبقة الأولى فى جميع مراحل المسار ، عند التأسيس وبعده ، ولكنه يشرع فى مرحلة الانفتاح بالاهتمام بالطبقة الوسطى إذا ظن أنه قد استقطب الطبقة الممتازة ، وإما طبقة الضعاف فيبقيها فى دائرة خارج التنظيم ، ويكون تماسه بها فى المرحلة الأخيرة ، وليس قبل ذلك .

هذا التقسيم إنما هو بالنسبة للصالحين ، ممن لهم استعداد للالتزام الإسلامى ، وأما الذين ليس لهم مثل هذا الاستعداد ، ويتيهون فى ظلمات الإلحاد أو غبش الشبهات ، فإن من البداهة بعدنا عنهم ، لكننا نتكلم عمن فيهم بوادر الاستجابة ، باعتبار أن إختيارنا للطبقة العالية منهم يجعل عملية التربية أسهل ، وبهذا الاختيار نضمن سلامة المجموعة القيادية التى سيرتكز عليها ثقل الخطة ، إذ أن اقتصارنا أثناء التأسيس على تجميع أفراد الطبقة الأولى فقط من شأنه أن يجعل المراكز القيادية موزعة عليهم كنتيجة طبيعية تلقائية ، ويجب أن يكون عددهم بالمقدار الذى يكفى قيادة المرحلة الأخيرة ، وليس مجرد قيادة عملية التأسيس فحسب .

إننا إذا أردنا أن ندرأ الفتن داخل الجماعة فعلينا الإقلال من قبول العناصر الضعيفة ابتداء .

□أفلاك عديدة

ليست هناك أى مخالفة للأدب الشرعى إذا لجأنا إلى هذا الانتقاء وامتنعنا عن قبول الجبناء أو قليلى الذكاء ، ولا ترد هنا قصة عبس وتولى ، وسبب ذلك أن عملنا شبيه بعمل قائد يبنى جيشاً ، ولا يشبه عمل طبيب يعالج المرضى ، فالقائد لا يصطحب إلا كل شجاع ذكى ، لأن طبيعة المعارك تقتضى ذلك ، ولا يناقض هذا المعنى وصية تقدم بها رجل صالح إلى الإمام البنا يشبّه فيها الدعوة بأنها مستشفى ، فإن الدعوة هى كذلك فعلاً ، تعالج الناس بقربها منهم ، دون الالتزام بإدخالهم صفها .

لسنا ندعى أننا الأمة الإسلامية وأن من هو خارج تنظيمنا ليس بمسلم حتى يجفل البعض إذا رأوا الانتقاء ، وإنما نحن جماعة من الأمة الإسلامية انتدبنا أنفسنا لحمايتها وتذكيرها ورعاية قضاياها والسعى لحكمها بالقرآن ، ولا نأخذ معنا إلا من يصلح لهذه المهمة الدقيقة الشاقة ، مع بذل الحب للآخرين من المسلمين الذين تقصر قابلياتهم فى نظرنا عن حمل الأعباء معنا بإجادة وإتقان ، ولا نمتنع عن تكافل معهم وتَساعد ، ولكن من خارج التنظيم ، وبعد مرحلة التأسيس الحرجة .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يختار أشداء الصحابة رضى الله عنهم للصعاب ، ويولى أمثال خالد الحروب ، ويدنى أمثال أبى بكر وعمر وزراء ، ويعجبه ذكاء وجمال دحية الكلبى فيبعثه سفيراً إلى هرقل ، ولم يك منادياً على أول من يمر به ليقوم

له بتلك المهام ، وكان الثقل يرتكز على جماعة من فقهاء الصحابة وشجعانهم وفصحائهم دون كثير من المستضعفين السذج ، مع أنهم شركاء فى الإيمان . كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام ، وإيمانهم الواحد لم يمنع اختلاف الطبائع ، وفى الوقت الذى كان فيه دحية يتأنق : كان خالد يمد يده ليأكل الضب .

وأما تجارب الحركة الإسلامية المعاصرة ، ففيها الكثير مما يدعو إلى إعادة النظر فى طبيعة التجميع الذى مارسته بلا انتقاء ، إذ استجاب بعض منتسبيها إلى إغراء معروض تلوثت به سمعة الجماعة ، وفزع آخرون من إرهاب مفروض ففضحت أسرار عزيزة .

نعم ، يمكن كسر هذه القاعدة ، إذا كان الضعيف ذا صفة أخرى تؤهله لخدمة الجماعة فى باب لا يتاح دخوله لكثيرين ، كشاعر لا يُعرف بمزيد شجاعة ينصر ببلاغته حجج الفقهاء ، ويتغنى بمعانى الحماسة إذا اقتحم رهط الشجعان ، أو ساذج غنى يجود بماله إذا اندفع لتنفيذ الخطط الوعاةُ ، لكن هذه المعادن نادرة ، ولا تنثلم القاعدة بحرصنا على مثلهم ، إذ لم تشهد ساحة الفصاحة من غير المقاتلين غير حسّان واحد يؤيده الله بروح القدس .

❑ إنما التنظيم لأهل الشمول

ومن متممات هذا الانتقاء أن نحرص على تناسق صفات الذين ننظمهم أيام التأسيس مع المنحى الشمولى الذى عرفت به

دعوتنا ، وهذا يقتضى أن نبتعد عن خمسة :

* نبتعد عن سالك مسالك الجمعيات الخيرية فحسب ، الذى يضيق ذرعاً بخط الجماعة السياسى ، ويقلص سعة آفاق العمل ، ويحصرها فى بناء مسجد ورعاية مريض ، ويعزف عن توجيه الجهود نحو مقاومة أحزاب الباطل وحكام الجور ، ويصرفها إلى جوانب مفيدة ، لكنها ثانوية ، وتستهلك طاقة كبيرة تكون ثمناً لإنتاج ضئيل لا يوازيها .

* ونبتعد عن العنيف الحربى ، المستسهل إراقة الدماء ، المتأثر بأساليب الأحزاب وجرأة المغامرين ، الذى يريد الوصول السريع ويعتبر العمل التربوى والصراع الفكرى تعويقاً وجهدا مهدراً ، وليس له تمييز بين التهور وخط الجماعة التغييرى المتدرج .

* ونبتعد عن الباحث الفقهى المجرد ، الذى يقصر دور المسلم على البحث والتدوين وجمع الكتب ، دون سيرة عملية فى التعليم وإرشاد العامة ، ويرى كل جهد غير البحث نقصاً ، ويتصور الدعوة مجمعاً فقهياً .

* ونبتعد عن متعبد فى خلوة ، مبتدع فى العقيدة والسلوك ، الذى ينهج منهج التفلسف ، ويهجر طريق السنّة المأثورة ، ولا يقف عند النص الصحيح .

* ونبتعد عمن يتغاضى عن قضايا الأمة الكبيرة ، ويدع منازعة الفجرة من الحاكمين والمرَدَة من الحزبيين ، ويترك توجيه

الموعظة إلى تاركى الصلاة . ويحكر جهده ووقته وفنّه للاعتراض على الدعاة ورواد المساجد إذا تركوا بعض آداب السنّة جهلاً أو تقليداً للمذاهب ، ويطبع علاقته بهم بنوع من التوتّر والعبوس ، ويطيل معهم الجدل .

ليس لهؤلاء الخمسة محل فى تنظيمنا ، وإنما هو التعامل معهم من خارج ، وبلا التزام ، ما لم يسبب هذا التعامل ضرراً .

إننا لا ننكر الخير الذى يذهب إليه بعضهم ، إنما ننكر فهمهم القاصر وبعدهم عن الشمول ، ونخشى أن يحرفوا الدعوة عن شمولها إذا عملوا فى داخلها .

إن خطتنا تشيع الفقه ، وتربى بالتعبد ، وتحث على التمسك بآداب السنة وتتناول بعض العمل الخيرى ، وتعتمد القوة ، ولكن بمقدار الحاجة ، أو بمقدار ما نملك من طاقة ، فى توازن وتدرج ، وبحكمة وموعظة حسنة ، وفى جو من التآخى والتحاب .

❑ الآثار السلبية لمرحلة ما بين المرحلتين

ويحسن التنبيه إلى مشكلة تعد من سلبيات الفترة الأخيرة من مرحلة التأسيس ، وتتمثل فى صعوبة عملية انتقاء العنصر الجيد العالى الصفات إذا أراد الداعية ذلك ، بل غالب من يستجيب له : عناصر يتضح فيها ضمور الاستعداد الفطرى لأداء دور قيادى ، وقلة الإبداع ، ولهم طبيعة تميل إلى التعبد ، أو المطالعة ، أو مجالسة الأقران ، دونما اقتدار على التجميع والتحدث للناس .

وهى ظاهرة تتكرر أيضاً فى الحركات المكتملة المنتهية من مرحلة التأسيس إذا أجبرتها الظروف السياسية الصعبة على الصمت ، والتوارى ، والانسحاب ، والعمل الهادئ ، الشبيه بمرحلة التأسيس .

بل إن فترة ما بين المرحلتين ، هذه لها تأثير أبعد من مجرد قلة ورود العناصر الجيدة ، فالملاحظ أنها توقف القدماء عند مستوى معين وصلوه ليس بعده تحسّن واضح .

نعم ، تلك طبيعة ما بين المرحلتين ، حين تكاد الدعوة أن تنتهى من مرحلة التأسيس الموصوفة بالبعد عن السياسة والتجرد لإلحاح فى التربية والتى لم تدخل بعدُ مرحلة الانفتاح السياسى الموصوفة بكثرة التفاعل مع الأحداث واتخاذ المواقف السياسية والفكرية المعلنة تجاه الحكومة والأحزاب ، فهى بينَ بين ، كأنها جيش أتم تدريبه ولا ينتظر عملاً حربياً قريباً ، يكون الانتظار مملاً لأفراده .

فمرحلة التأسيس الأولى تملأ أفرادها همة ، لأنهم يستشعرون أنهم يخوضون معركة حياة أو موت ، فإما أن ينجحوا فى التأسيس أو يفشلوا ، ولذلك تكون حواسهم جميعا فى أقصى درجات الاشتغال ، وحماستهم فى أحرّ لهب الاشتعال .

وأما مرحلة الانفتاح فتجبر أحداثها الدعاة على الانغماس فى تيار العمل ، ويفتح لهم باب شغل خير منتج كل يوم ، وتجد القيادة مجال استغلال لطاقات كثير من المنتسبين الضعفاء الذين لم

يكونوا يستطيعون القيام بجهد منتج خلال فترة التأسيس .

وهكذا تفتقد المجموعة أثناء فترة ما بين المراحل الهمة الذاتية التي يبعثها شعور التأسيس ، مثلما تفتقد التحريك التلقائي الذي تندفع فيه بفعل يوميات الانفتاح وما فيه من تصارع سياسي وفكري، وبذلك تنشأ حالة من الفراغ الذي تكسل فيه الحواس ، وهي طبيعية في الأعمال الجماعية غير غريبة ، ولا ينبغي لليأس أن يتولد خلالها ، ولا أن نكثر التخوف منها ، لأنها وقتية .

والظن الراجح المؤيد ببعض التجارب أن الانتقال إلى مرحلة الانفتاح والمشاركة السياسية من بعد الهدوء ، يكفل انتماء العناصر ذات الذكاء والشجاعة وقوة الشخصية ، وإنما يبتعد هؤلاء عن الانتماء في مراحل العمل الهادئ لأنهم يجدونه لا يرضي تطلعاتهم ، ولا يرونه رداً مناسباً لحجم الخطر الداهم ، إذ ليس لهم من الوعي الحركي والتجريب ما يقنعهم بضرورة المرحلية والانتظار الإيجابي الذي تلجأ له الجماعة لتكميل نقصها ، ولا لهم حساب مصلحي يدلهم على صواب الانحناء للعاصفة القوية حتى تمر .

❑ ولكل جيش ساقة

ومع ذلك فإن هذا الحرص على العنصر العالي الصفات لا يصح أن يدعونا إلى الاستطراد في رد من يُقبل علينا من العناصر الأقل كفاية . بل لا بأس من أن نحتويهم إذا انتهى التأسيس ، ونحوّلهم للمكوث في زوايا تنظيمية ثانوية ، لا نطلب منهم مشاركة جادّة ، ولا نعوّل عليهم في شيء كبير ، ونخصص لهم

من يديرهم ممن ليس له دور مهم فى تنفيذ الخطة .

إن أقرب التسميات اللائقة لهم أن يقال عنهم أنهم (الخزين التنظيمى) ، فكما أن المعامل حين الكساد تحول انتاجها إلى المخازن وتنتظر تحرك السوق وتحسن الأسعار ، فكذلك التنظيم يخزن هؤلاء المؤمنين ، ويدخرهم ليوم ينفعون فيه بدل تركهم للضعف والشيطان .

فمن منافعهم : اشتراكهم فى توزيع النشريات الحركية ، وقيامهم بأعمال الحراسة أو المراسلة ، ومساهمتهم المالية ، وتربيتهم أولادهم ليكونوا جنوداً فى الحركة ، ولياقتهم لأداء كثير من أعمال الإصلاح العام ، وأقل منافعهم أن يكونوا هم وأهل بيتهم أصواتاً انتخابية ، وهذه منافع جمة تكاد تلغى الأساس المنطقى الذى قام عليه مبدأ الانتقاء ، لولا ما يتكفل به هذا المبدأ من إتحاف الدعوة بعناصر ذات فوائد أكبر من هذه وأعلى ، من الذين يصلحون لتنفيذ الأعمال الدقيقة التى بينتها الخطة .

❑ ضرورة علم الأنساب

ومما يستحب للداعية ، ويزيده مهارة فى فقه الاصطفاء : أن يكون صاحب اطلاع مناسب على أنساب أهل قطره ، ومدينته التى يعيش فيها بخاصة ، بمطالعة الكتب ذات العناية بذلك ، أو بسؤال من له معرفة ومخالطة للناس واسعة ، فيعلم فروع القبائل والعشائر ومواطن إقامتها والمتصدرين فيها ، من لم يزل فى

الأرياف منهم ومن نزح إلى المدن ، ويلم بأصل البيوت المشهورة والعوائل الشريفة القديمة التى تعارف الناس على تقديمها ، غنيها وفقيرها ، وبذُرية العلماء والأعيان ومن شَهَرَتْهم وظائفهم أو كتاباتهم أو شجاعتهم . وكلما توسع الداعية فى نطاق هذه المعرفة كان أحسن له ، حتى يتعدى قطره إلى معرفة أخبار وأنساب أهل الأقطار المجاورة أو المهمة ، والتى لها تأثير قيادى فى بقية الأمة .

ويسوغ لنا أن نجعل هذا الباب من المعرفة الاجتماعية ضرورة أبعد من كونها مستحبة فقط ، فإن الداعية يستطيع أن يستثمر علمه بالأنساب وأحوال الرجال فى أكثر من مجال مفيد .

* منها : تأسيسه صلة المعرفة المباشرة بأشراف الناس وخيارهم ، فإنهم معادن تحرص عليهم الدعوة ، ومن يفقه منهم يصبح داعية مضاعف التأثير فيمن حوله ، إذ ما من نبى إلا وبعث فى أوسط قومه ، كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم ، أى من أحسنهم وأشرفهم .

وقد قال عن نفسه ﷺ : « أنا خيار من خيار من خيار » .

وكان أتباعه من المستضعفين ، ولكنه كان يقول : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين » ، وكان يريد مكانتهما كما يريد عقلهما .

وما ورد على لسان أبى سفيان وهرقل من الصدق فى أن ضعفاء الناس اتبعوه دون شرفائهم لا يناقض هذا ، فإنهم لا يعنون بصفة الشرف ما نعنيه ، وإنما كانوا يصطلحون على تسمية جبابرة

مكة والأغنياء بالشرفاء ، وهو مثل قول الإمام البنا رحمه الله بضرورة إبعاد الدعوة عن هيمنة الكبراء والأعيان ، فكبراء مصر وأعيانها هم فى عرف المصريين : الباشوات ورؤوس الإقطاع الظالم ، وأما الكبار حقاً فهم كبار العلم والأدب والأخلاق ولو كانوا فقراء ، وأما الأعيان حقاً فأعيان البطولة ، والمروءة والنسب العريق وإن أتعبهم الإملاق .

وللدعاة موعظة فيما فعل النبى ﷺ وقاله ، تحدوهم إلى البدء بشباب البيوت العريقة ، ثم إلى تقديمهم فيهم إذا فقهوا ، من غير استكبار على شباب ينبغون من بين غمار الناس ، وفى حذر من أن تقع الدعوة فى هيمنة مصلحى .

ولم يكن شرط القرشية من جملة شروط الخلافة عند توفر الشروط الأخرى إلا لمكانة قريش بين العرب ووفور انقيادهم لها ، ولا كان أخذ الأقوام الأخرى عن العرب وتقديمهم لهم إلا لشرف العرب فى السبق إلى الإسلام وأنهم قوم النبى ﷺ ، ونحن نرجو مزيد استماع من الناس لكلمة الإسلام إذا قام بتبليغها لهم اليوم أبناء الأشراف الذين ننجح فى ضمهم إلى صفوفنا .

* ومن استثمارات علم الأنساب : مضادة مساعى الحكومات الاشتراكية وحكومات العسكريين من محبى التسلط الذين يهيمنون عن طريق الانقلابات دونما ظهير شعبى ، فإن هذه الحكومات ، لقيامها على الظلم واحتياجها إلى الكبت : أخذت تعتمد سياسة موحدة فى التغيير الاجتماعى الذى تظن أنه يضمن

استمرارها ، ومحور هذه السياسة : تقديم الغوغاء ، والدهماء ، وأبناء الأقليات ، والنصارى ، وبقايا الفرق الباطنية ، ومن لا خلاق لهم ، فتحكر المناصب والوظائف المهمة ومراكز التأثير المالى والإعلامى عليهم ، لما عندهم من استعداد لخدمة خطط الهدم .

وهذه سياسة قديمة ، حتى أن قارئ التاريخ ليعجب كيف تتكرر الصور بحذافيرها ، وينصت لواصف يصف ما حدث قبل ألف عام أو أكثر فيظنه يصف أحوالاً يراها .

وقد حفظ لنا الأديب الثقة ابن قتيبة الدينْوَرى فى كتابه القيم (عيون الأخبار) تقريراً لشاعر ، كَوَته معاصى أهل بغداد وإعراضهم عن الإسلام لما غمرهم المال أوائل القرن الثالث فأركسهم فى الترف . ثم لذعة العقاب الربانى الذى أحاط ببغداد فى صورة من انقلاب الموازين ، وسطوة النكرات ، وراح يندب بغداد . . .

يا بؤسَ بغداد دار مملكةٍ
دارت على أهلها دوائرُها
أمهلها اللَّه ثم عاقبها
لما أحاطت بها كبائرها
رقَّ بها الدين واستُخِف بذى الـ
ـفضل وعزّ الرجالَ فاجرها

وصـــار ربّ الجيـــران فاســـقهم

وابـــتزّ أمـــن الـــدروب شـــاطرها (1)

وفى هذا الندب والتوجع إيماء جلى إلى طريق التوبة وإرشاد إلى أنه يبدأ بترك الكبائر ولزوم الصلاة والتقوى ، ويمر بمعاضدة دعاة الإسلام ، ليلتقى مع تمييز يكتسبه دعاة الإسلام لأنساب الأشراف وذوى الأصالة ، يتطور إلى صلة ناجحة بالتائبين منهم لإكسابهم الوعى ، إذ عندئذ فقط يكون الرجاء واسعاً فى إحباط مساعى الشطار فى ابتزاز أمن الدروب ، ومنعهم من الوصول إلى السيطرة ابتداء ، أو إحباط حكمهم إذا كانت الفرص وغفلة الصالحين قد خدمتهم بالأمس .

إن العدل والتعفف ميل فطرى عند الأشراف حتى فى المجتمعات الكافرة ، ولهذا أباد لينين فى روسيا كل شريف وأصيل وبيت عريق ، مع أنهم ما كانوا جميعاً فى خدمة القيصر وظلمه ، بل كان الكثير منهم ضده ، ولكنهم أرادوها حرية سياسية موزونة دون دماء ، وكانوا هم الذين خلعوا القيصر أول مرة ، لكن معالجتهم الهادئة ، لم تعجب لينين والحاقدين معه ، وسماهم (البرجوازية الوطنية) ، وحصر دورهم فى الاستفادة منهم فى المرحلة الأولى والوصول على ظهورهم ، ثم إبادتهم باعتبارهم طبقة لها مصالح تنافى مصالح طبقة البروليتاريا ، وابتداع اصطلاح (الثورة الشعبية) ، الذى لا تجده اليوم مشروحا بكلمات واضحة ،

---

(1) عيون الأخبار 1 / 131 .

بل تعلم شرحه مما جرى من مجازر ومناكر ، وهذا الأسلوب الدموى هو الذى تفسر به الإضافة (اللينينية) إلى مجرد (الماركسية) ، وهو ما تسعى جاهدة بعض التيارات الداخلية القوية فى الأحزاب الشيوعية فى فرنسا وإيطاليا وأسبانيا إلى نبذه ، بعد اصطدامهم بأعراف الحرية الديمقراطية المتأصلة فى أوروبا الغربية .

* ومن مجالات استثمار الداعية لعلمه بالأنساب وصلته بالأعيان : توفير الحماية الطبيعية له وللدعوة مما قد يتعرض له من أذى الحكومات ، فإن بعض مجتمعاتنا لا زال فيها نفوذ لأشراف الناس ، تهاب كلمتهم إذا استنكروا . والذى هو أكبر من ذلك أن تضم الدعوة فى صفوفها من أبناء الأشراف كثيرين ، فإن الحكومات تخشى ابتداء أن تمد يد الأذى لهم ، للهزة الاجتماعية التى تقترن بمضايقاتها إن هى جازفت ، مما يعطى للدعوة حماية طبيعية أصيلة تستغلها فى مواقفها وأقوالها .

* وكذلك فإن علم الأنساب يحمى الدعوة من خطر تغلغل الأعداء إلى تنظيمنا ، وقصة تغلغل اليهودى كوهين إلى حزب البعث السورى ووصوله إلى المرتبة القيادية قصة ما تزال حية تعظ بدرس بعد درس ، إذ ادعى أنه من أبناء المهاجرين السوريين إلى أميركا الجنوبية ، واستطاع بأمواله وموائده ولباقته أن يقيم علاقات قوية مع كثيرين من الحزبيين ، حتى دفعوه إلى أعلى المراكز الحزبية .

ولذلك وجب على دعاة الإسلام أن يتحققوا من هوية كل مقترب منهم غير معروف النسب ، فيسألونه منذ مجالسهم الأولى

معه عن اسمه الكامل ونسبه وأقاربه ومن يعرفه ، مع التحقق مما يَّدعيه حذراً من الاندساس .

نعم ، قد يكون بعض أبناء الأشراف أكثر خطراً ، وقد تبعث بهم الأحزاب إلى صفنا ، ولكن هذا الخطر لون آخر يوجب عليك الانتباه ، وليس هناك ما يمنع أن تجمع له انتباهاً آخر يسد باب تغلغل من لا يُعرف له أصل .

❑ المنطق الواقعى والمداراة السياسية ينحتان مثاليات الأخوة

ومن القواعد المهمة فى سياسة الدعوة التجميعية : مراعاة الطبيعة القومية فى كل بلد ، والحرص على بث الدعوة فى الأكثرية ، والحفاظ على رجحان عدد الدعاة منهم على عدد الدعاة الذين ينتسبون إلى الأقليات ، وأن يكونوا هم الصدور .

وهذا المعنى جد دقيق ، ويصعب تفهيمه ، وقد يسارع المستعجل إلى سوء ظن واتهام ، لاختلاط ما نقصد بنعرات جاهلية قد توجد رواسبها فى نفوس بعض المسلمين ، ينسون معها معانى الاخوة الإسلامية الواجبة ، ودعوتنا هذه دعوة إسلامية ، الرابطة فيها رابطة العقيدة ليس غير ، والتواضع سُنّة إيمانية ، والتفاخر بالآباء موضوع عندنا مذ وضعه رسول الله ﷺ .

ولكن تتعلق نظرتنا بسببين :

الأول : أن دعوتنا ليست مجرد مسجد عبادة ، بل هى

محاولة حكم وتأثير فى الحياة ، وحصول تجاوب الناس معها أمر ضرورى لا غنى لها عنه أبداً ، والمنطق يقتضى أن نخاطب الناس على مقدار عقولهم ، وأن نقودهم برجال منهم ، لا برجال أقلية يظنون أنها منافسة لهم ، فيكون الفتور من الأكثرية فى التجاوب مع الدعوة .

الثانى : أن الأقليات قد يختلط مقصدها الإسلامى فعلاً بمقصد مصلحى ، إذ أنهم لا يستطيعون تكلف مسايرة الدعوة القومية عند الأكثرية ، ولا تستطيع الأقلية أيضاً التورط فى دعوة لقوميتها ، فيكون انتسابها الإسلامى هومُتنفسها الطبيعى ، وإذا كان طبيعياً فإن ذلك يعنى أن من رجال الأقلية من يلتزم الإسلام عن قناعة وإخلاص وتجرد تام ، وتذوب شخصيته فى الشخصية الإسلامية تماماً ، وأن منهم من تبقى فيه رواسب وشوائب تحدوه إلى مواقف تقتضيها مصالح الأقلية التى ينتمى لها وإن خالفت المواقف المفترضة فى المسلم الكامل ، وإنما تخوّفنا أن يكون شىء كهذا إذا كان سواد الدعاة الأعظم منهم .

وكلام ابن خلدون فى مقدمته فى شرح حكمة شرط القرشية فى إمام المسلمين له وجاهة ، ويمكن أن يقنع المتردد فى قبول هذه القاعدة ، فهو يذهب إلى أن شرط القرشية ما كان إلا لعلو كعب قريش بين العرب وطاعتهم لها إذا حكمت ، واستدل من ذلك أن الأزمان المتأخرة التى ضعفت فيها مكانة قريش وتلاشت وحدتها لا يمكن أن يطاع فيها القرشى لمجرد كونه قرشياً ، بل مصلحة

الإسلام في استقرار حكم الحاكم الصالح تحدو إلى اختياره من بين رجال الأغلبية التي لها المكانة والسطوة ، في كل بلد ، ليطيعوه ويعضدوه .

فبمثل هذا المنطق نوجب قاعدتنا ، وعنه نصدر ، لا عن منطق قومي جاهلي . وإذا كان في بلد ما تعادل في التواجد القومي فإن المنطق نفسه يقضي بتعادل مثله في الانبثاث الحركي .

إن الأخوة الإسلامية أصل لا يكمل إيمان المسلم بدونه ، ولكن من المهم أن نتذكر أن ذلك لا يقتضي معاملة الخليط القومي المتواجد في بلد ما من بلاد الإسلام اليوم معاملة تتجاهل نقصهم ، فإن أكثرهم لا يطبق مقتضيات هذه الأخوة ، وفيه نوازع ومشاعر وتطلعات تخالف آداب الإسلام ، وإنما الإخوان حقاً ، والذين ينطبق عليهم هذا الأصل حقاً هم الذين سَمَوا وارتقوا إلى مستواه فعلاً ، ولم تبق فيهم بقية أو خلق جاهلي .

وقد يعترض معترض يقول بعدم الحاجة إلى ذكر مثل هذه القاعدة ، لأن شيوع الدعوة في الأكثرية أمر طبيعي ، وتدل بديهيات العقل كل داعية إلى مراعاته ، وليس الأمر كما زعموا دائماً ، فإن الداعية ربما وجد فورة قومية عارمة عند الأكثرية تقلل عدد المستجيبين إليه منهم ، فيتوجه إلى الأقلية ، فيجد ترحيباً ، وتساعده الانعكاسات النفسية لفورة قومية الأكثرية في هذه الأقلية ، فيستروح عمله السهل ونتاجه الوفير ، وما يدري أنه لم يفعل شيئاً كبيراً .

ولكن إهدار الرابط القـومى لا يبـرر النيل من الشعـوب والقـوميات ، وإثارة الحفائظ بذكر مثالب الغير ، فإن تلك بـدعـة جاهلية تـوازى بـدعـة التفاخر وادعاء احتكار المناقب ، وتتضخم لتكون بدعة غليظة شديدة النكر إذا كان النيل من العرب ، وكان القدماء يسمون ذلك شعوبية ، ويُنزلون مقارفها عن منزلة التوثيق، فإن العرب معدن الإسلام ، ولبنته الأولى ، ولهم السبق ، وبهم كمال عزه ، ومن بينهم بعث النبى ﷺ ، وبلغتهم القرآن نزل .

❑ الداعية العصرى

ثم إن الحديث عن طبائع الذين ندعوهم يجرنا مرغمين إلى الحديث عن طبائع الدعاة وقول فقه الاصطفاء فيها .

وكأن أول ذلك أن نعترف بأن مستوى الكثير من دعاة الإسلام ما زال متخلفاً عن المستوى اللائق للاشتغال بالسياسة ، على عكس الكثير من الساسة الذين نخالفهم ، فإنهم قد استطاعوا تدليس باطلهم ، وتعميق تأثيراتهم بعديد من الميزات التى برعوا فيها ، من الثقافة العامة الواسعة ، والمطالعات السياسية المكثفة ، والدراسات الاقتصادية ، والمقدرة على التعرف على الناس وجَوْب منتدياتهم ، والإلمام بلغة أجنبية وتكميل اطلاعاتهم باستخدامَها .

وقلة منا هم أولئك الذين ارتفعت مستوياتهم ارتفاعاً عالياً

يؤهلهم للنجاح فى أبواب الدعوة العامة ، كتحرير الصحف السياسية ، وأداء مهمة النيابة البرلمانية ، والخطابة ، ورئاسة الهيئات الإدارية للجمعيات والنقابات والنوادى ، أو عضويتها ، أو ما هو أبعد من ذلك من القيام بالوظائف الحكومية الكبيرة ، إذ قلة أولئك الذين يصلحون كرجال دولة يتحملون مسؤولية وزارة أو سفارة وما وازى ذلك إذا أردنا تكوين جهاز كامل للحكم أو المشاركة فيه .

إن إخلاصنا فريد النوع ، وتواضعنا نادر المثال ، وأخوّتنا عزيزة ، وعبادتنا جميلة ، ولكن النجاح السياسى أصعب من أن ينال بمجرد ذلك .

صحيح أن أكثر الدعاة يحملون علماً جيداً ، لكنه العلم الإسلامى فى معظمه ، ونعماً هو : رمز فخر وشرف ، ودستور عمل ، ودليل سير فى دروب الحياة ، ولكن تأثيره اليوم يظل محصوراً ما لم تظاهره ثقافة عامة شاملة ، وأساليب عصرية فى تفهيمه باستعمال الدراسات المقارنة ، ونقد الواقع الحاضر ، واتباع أساليب البحث الحديثة .

وصحيح أيضاً أن فينا أهل نشاط واتصال بالناس ، ولكن الكثير منا ينعزلون فى مجالس خاصة ، ولا يبعدون عن دائرة رواد المساجد ، ويستأنسون بطول اللبث يومياً فى مجالس العوام ، ونعم البرهان هى على تواضع الداعية ، لولا ما فيها من تعويد على الكسل وفتور الذهن ، وما سببه الإسراف فى التلذذ بها من هجر

مجتمعات المثقفين ، فى نواديهم ونقاباتهم وجمعياتهم وسهراتهم المنزلية ، ولا بد نواديهم ونقاباتهم وجمعياتهم وسهراتهم المنزلية ولا بد من إقامة توازن وتوزيع أوقاتنا على أنواع المجالس .

❑ بذاذة موهومة

وكذلك مظهر الداعية وملبسه ، شريك فى التأثير ، وكثير من دعاة الإسلام يستهويهم أجر البذاذة الإيمانية التى يعتقدونها ، فيخالفون عرف المثقفين فى اللباس ، ويهملون هندامهم ، وليس لهم من تبرير مقنع ، والناس اليوم يلزمها من رفق خطابنا لها ما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم للوفود ، فإنهم وإن كانوا اليوم مسلمين ، إلا أن المعانى الإسلامية التى نتداولها معهم غريبة عليهم ، وأوشك أن يصبح المعروف منكراً ، ولا بد أن نتجمل للناس فى حدود المباح بما لا يخرجنا عن سمت التواضع ، كما كان رسول الله ﷺ يتجمل للوفود (1) باللباس الحسن الأنيق ، والنظافة المبالغ فيها ، ومس الطيب ، ليألفونا ، من غير تقليد للمسرفين ، ولا جنوح إلى التشبه بالمتبطرين المبذرين ، فإن التوسط ما زال هو الخير فى كل الأمور ، وربما كفته البدلة الواحدة لسنين .

وسيقول قائل : أين إذن ما نعهده من فضيلة ميزة البساطة فى الداعية ، وكيف نتقرب إلى العامل والفلاح إذا أقررنا الأناقة بنداً فى صياغة الداعية ؟

---

(١) فتح البارى ٦ / ١٢ ، طبعة الحلبي ، وأما المكروه فهو التجمل لهم بالحرير والحلة السيراء .

وللمعترض المستعجل حق فى ذلك ، فإن هذه الوصايا تثير الالتباس ، ولكن من يجمع كلامنا إلى بعضه ، ويرى كل الذى كتبناه : يدرك أننا نسبقه إلى إنكار التكلف ، وأننا إلى الزهد أقرب، وما ثَمَّ لدينا إلا رغبة فى إبعاد الداعية عن إهمال مظهر نفسه ، فإنك ربما رأيته لا يقص شعر رأسه حتى يطول ، أو لا يحلق ذقنه لأيام إن لم يكن من أهل اللحى ، أو يلبس القميص لأيام دون غسله ، أو لا يغتسل هو أياماً ، وأما الملبس الغالى المتتبع لآخر مبتكرات الخياطة فنحن أسبق من كل سابق فى النطق بكراهته وذمه .

إن البعض يرى أن هذه الأمور من الصغائر التى لا تناسب التذكير القيادى ، وهى فى عرف الأوساط السياسية والفكرية كبائر .

❑ هجرة الأحرار لا يعرقلها ناكص

وعلى كل ، فإن التجربة التربوية لا تستبعد أن تؤدى هذه المطالعات غيرُ الإسلامية التى نحث عليها ، ومجالس المثقفين ، وهذا التجمل فى المظهر ، إلى تأثيرات سلبية عند بعض الدعاة ، يحب معها الترف والقشور الدنيوية الزائفة ، أو يتكبر على فقراء الدعاة ، الذين لا يدرى ثقل ميزانهم إلا الله تعالى ، أو على غير أصحاب الشهادات الذين ربما فاق علمهم علمه ، أو يأخذ يتنطع فى فكره وتحليلاته ، ويصير أشبه برائد صالونات سياسية متطلع للمناصب منه بداعية متجرد متواضع همام ، إلا أن كثافة المواعظ الصريحة ، وذكر الرقائق ، والرقابة القيادية التى تشرف على

تعادل الكلام والمناهج والخطط ، والتربية على ما يضاد هذه الأسواء : كل ذلك يجعل العاقبة أكثر سلامة ، ومن سقط ولم تنفعه الرقابة والرقائق : كان سقوطه عندنا مصداقاً لاحتمالات تساقط متوقعة فى هذا الطريق ، كأنها سُنة من سنن العمل الجماعى، وليس أنفع لنا آنذاك من رؤية التكذيب الواقعى الحتمى لتدليسات المجازات الحماسية التى توهم قليل التجربة بأن كل من سار على الدرب وصل ، كأنْ ليس فى الناس الأعرج ، والمريض، والراهب ، والشهوانى ، وفاتر الهمة .

❑ انتكاس الموازين لا يدوم

ومن أضر الأقيسة هنا : أن يقيس الداعية كلامنا هذا بما حوله من واقع الحزبيين والانقلابيين ، فيجد ما أوجبنا غير واجب ، إذ يرى نكرات الناس يحكمون ، وكل جاهل ليس له عُشْر علم الداعية المسلم يَتصدَّر ، وكل مخالف لفطرة الجمال معنىً ومظهراً يقول ويتفلسف ويجول .

وما هكذا تفهم الأمور ، فإن الحقبة الأخيرة من التاريخ السياسى لبلادنا شاذة طائشة ، ووجدت الطفولة الفكرية والسياسية لها من أكتاف الجمهور الساذج مصعد وصول ، فصالت، والتطور الاجتماعى والمدنى ، والهدوء التأملى الذى سيخلف هذا القلق : كفيلان بنمو اتجاهين هما فى صالح الحركة الإسلامية حتماً :

إتجاه ندم الناس على ما كان منهم من خذل لدعاة الإسلام ونصر للحزبيين الذين أذاقوهم مرّ المتاعب ، وربّما مالوا لمحاولة وفاء وتعويض وإقبال على الإسلام .

واتجاه جاهلى آخر على النقيض يحاول تأصيل الفكر العلمانى والنزعة الإلحادية ، ولكن من خلال التربية والحوار والأساليب الحرة المشتقة من الديمقراطية الغربية لا من خلال الإرهاب ، وهو اتجاه فى صالح الحركة الإسلامية أيضاً ، فإن الإسلام والجاهلية إذا تصارعا فى جو من الحرية : كان الإسلام هو الغالب ، لقوة الحجة ، وموافقة الفطرة ، وعند ذاك فى تلك المصارعة الحرة ، ستبدو أهمية هذه الجوانب فى صياغة شخصية الداعية المسلم ، والتى أوجبناها آنفا ، من الثقافة العامة ، وأسلوب البحث الحديث ، وإحداث تماس بالمثقفين ، والتجمل لهم كما كان الأنبياء عليهم السلام يتجملون .

ولعلنا لا نغالى إذا صرحنا بأن افتقاد عناصرنا لهذه الجوانب الثلاث كان من أسباب الانحجاب عن الناس ، وأنها عزلة نحن اخترناها أكثر مما هى عزلة طوقتنا بها حكومات الكفر والأحزاب .

إن مقصدنا واضح ، والمعنى الذى نذهب إليه صحيح ، مع ما عند بعض الدعاة من الاستعداد للانحراف به إلى تفسير دنيوى يبررون به حالهم .

نريد للداعية أن يلبس المعتاد من لبس الناس ، ليست ملابس

متكبريهم المترفين ، ولا ملابس البذاذة المتكلفة ، ونقول له كما يقول الشاعر :

خلّ التأنق فى اللباس وسر على
نهج الأفاضل فى اختصار الملبسِ

والْبِسْ كمثل الناس لا تخرج عن المعـ
ـتاد فى شىء فتخطئُ أو تُسى

فهو لبس كمثل الناس ندعو إليه ، ولسنا ندعو إلى تبختر وخيلاء .

ونريد اختلاط الداعية بالمثقفين من الناس فى مجالسهم وأنديتهم ، لكسبهم ، ولا يصح أن يفترض أنه مثل بيضة وأنهم أحجار صلدة ، يكسرونه ويهشمونه ويسلبونه إيمانه إذا اختلط بهم، بل افتراض العكس أولى وأقرب للقياس ، فإن المؤمن قوى الحجة ، عزيز النفس ، وهؤلاء يعيشون فى فراغ روحى ليس غير الداعية يقدر على ملئه ، وتضللهم شبهات ، ليس غير الداعية يكشفها .

□ كيف بهنّ ؟

والحقيقة أن اختلاط مجالس المثقفين بنسائهم هو السبب الأقوى الذى يمنعنا من ارتيادها ، للحرج الشرعى فى ذلك ، إلا أن نلح فى إنشاء عرف يكسر هذا الترخص ويرفع الحرج .

وإجالة النظر فى المجتمع ترينا أن هناك عناصر كثيرة من

خريجي الجامعات وأصحاب المراكز لهم مستويات جيدة في فهم الإسلام ، ويحافظون على الصلاة ، ويحبون لنا ما نحب ، ويؤيدوننا بتحمس ، لكنهم يكتمون مشاعرهم هذه لتورطهم في التزوج من سافرات ، ولينهم الذي أكسب نساءهم حقاً لا يتنازلن عنه في حضور مجالسهم مع زوارهم من أصدقائهم ، وهم يخشون الظهور معنا أو ارتيادهم لمجتمعاتنا الخاصة حياء من أنفسهم إزاء ما ينكشف لنا من ضعفهم أمام نسائهم .

إن هذه الظاهرة ما تزال هي أعقد العقد التي تقلص عمليتنا التجميعية في أوساط الكبار والمثقفين ، ولا بد أن نأتمر لنجد لها حلاً ، ولربما كان من الحلول أن نشهر في الناس شروط درجاتنا التنظيمية الابتدائية التي تقبل انضمام المسلم لنا كمتعاون ومؤيد ونصير وإن لم تكن زوجته محجبة ، وبذلك نأمن عتاب الناس بفهمهم أنه مجرد متعاون وليس عضواً يقتدى به ، كما يأمن هو لسان الدعاة ، وتكون به جرأة على ارتياد مجالسهم ، لعلمه بأنهم يرضون منه هذا التعاون وإن استمروا بإسداء النصح له ، بالحكمة والموعظة الحسنة .

❑ إحياء طبائع الصدق والإتقان

ونظن أن أهم من هذا وذاك في تحسين الكفاية التجميعية للداعية : أن يمهر بعض الدعاة في اختصاصاتهم المهنية مهارة تشهرهم بين الناس ، من بين طبيب ومهندس ومحام ، فيحتاجونهم ، فيخدمونهم من خلال اختصاصاتهم وأمانتهم

وحرصهم على مصالحهم وصدقهم ، وبذاك تزول الحجب بين الدعاة والناس ، ويفهمهم الناس على أنهم النماذج المفقودة التى يكون بها صلاح الحياة ، ويفتحون لهم قلوبهم ، ويصغون لهم بأسماعهم . ولقد نجح العدو بالأمس فى عزل الناس عنا بسيل ظالم كاذب من الإشاعات ولّدت صدودهم ، وما من طريقة أجدى وأسرع فى إرجاع الثقة بيننا وبينهم من هذه الخدمة المهنية التى نقدمها لهم .

إننا لا نعنى ربط الناس بنا مصلحياً بعيداً عن معانى العقيدة ، كلا ، لكنهم يديرون وجوههم عنا ، بتأثير ما تفتريه الأحزاب والصحف ، ونريد التفاتهم نحونا بما نقدمه لهم من عمل مهنى نظيف ، فإن التفتوا : أوردنا الكلام العقائدى الفكرى لهم .

إن هذه الحقيقة تدع الناس يفهمون مرغمين أن هناك من دعاة الإسلام (من لا عنوان لهم ، وهم فى تأدية الواجب ونفع الناس وإصلاح الأمة والجدوى على البشر أصلح وأعظم أثراً من أصحاب العناوين المدوية التى تذهب فى الناس كدوى الطبل ، والطبل أجوف) ، كما يقول عبد الوهاب عزام رحمه الله [1] .

فهكذا دعاة الإسلام دوماً ، بإخلاصهم ، ونفعهم : يبطلون مفعول سحر الحزبيين والجاهليين الذين نفختهم الدعايات واختاروا لهم العناوين الكبيرة والألقاب الكاذبة .

---

(1) الشوارد / 70 .

ولذلك لبث عبد الوهاب عزام يوصى الداعية باستثمار هذه القابلية الكامنة فى هذه الظاهرة الاجتماعية الحيوية ، وطفق يُذكِّر ، ويُذكّر أن :

(احذر أن يكون همك العنوان ، وقصدك الدوى والضوضاء

واجهد أن تعنى بالفعل غير معنى بالقول ، وأن تطمح إلى الحقائق لا إلى الظواهر ، وأن تحرص على أداء الواجب لا على الصيت ، وأن تقصد وجه الله لا وجوه الناس .

كن كتاباً مفيداً وإن لم يكن له عنوان ، ولا تكن كتاباً كله عنوان وليس وراء العنوان شىء) (1) .

وإن سنن التواضع الإيمانى التى يحرص عليها الدعاة لا تدع لهم مجالاً للزهد فى وعظ أنفسهم بمثل هذه المواعظ ، مع أن أصل بنائهم قد ابتنى على ذلك مذ وضعوا لبنته الأولى ، ولكن الناس هم الذين يحتاجون هذا الميزان والتذكير فى الحقيقة ، ليتقنوا تمييز الرجال ، فكم غرتهم العناوين وسلبت لُبّهم الظواهر ، وما ينتهون .



---

(1) الشوارد / 70 .